المعالجة السنيمائية لقضية المواطنة بعد الثورات العربية

The cinematic treatment of the issue of citizenship after the Arab revolutions

سمية بن جبار*

جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة - الجزائر- bendjebbarsoumia@yahoo.com

تاريخ الاستلام 2021/04/30 تاريخ القبول 2021/08/08

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن موضوعات المواطنة، وقيمها، و معرفة معوقات فعل المواطنة عند المواطن العربي بعد الثورات العربية، من خلال الرؤية السنيمائية وذلك باستخدام المنهج الوصفي، واختيار عينة قصدية تمثلت في أربعة عشر فيلم عالج قضية المواطنة وإشكالاتها، وبتفكيك المشاهد التي جسدت صورة المواطن العربي وتعاطيه مع قيم وملفات المواطنة خلصت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: هو أن تراجع النص الدرامي بتغير مفهوم القيمة والهدف عند صانعي الدراما، أصبح موضوع المواطنة في السنيما بعد الثورات مجرد صفقة مربحة نظرا لاهتمام الجمهور بهذه القضية وفروعها بسبب الوعي الذي اكتسبه من خلال قيامه بالثورة، ما يحقق إقبالا أكثر على ما يعرض من أفلام، وانتشارا أوسع لما يقدم فيها من أفكار وقضايا، وربحا أكبر لصناع هذا المحتوى

الكلمات المفتاحية: المواطنة؛ التعددية الدينية؛ المعالجة السنيمائية؛ الهوية الوطنية

Abstract :

This study aimed to uncover issues of citizenship and its values, the science of obstacles, the science of obstacles, the science of obstacles, and the vehicle of the Arab citizen after the Arab revolutions while filming the values of citizenship

The study concluded with several results, including the value and goal of drama makers has become the subject of citizenship in the Sunni, just a profitable deal Due to its interest in this issue and its branches, due to the awareness that he gained through his interest in the revolution .

***Keywords** : citizenship; Religious pluralism; Cinematographic treatment; National Identit*

1.مقدمة

اهتمت السنيما العربية وبالتحديد السنيما المصرية، لغنى تجربتها وغزارة إنتاجها مقارنة بباقي سينمات الدول العربية، بقضية المواطنة منذ بداياتها؛ ويتجلى ذلك في معالجتها لمشكلة الصراع الطبقي التي تبنتها بأبعادها المختلفة في حقبة ما بين الثلاثينات إلى أواخر ستينات القرن الماضي، بإنتاج أفلام تدور حول الطبقة الأرستقراطية كحياة الباشوات وقصورهم، والرفاهية التي يتمتعون بها ناهيك عن الحقوق التي يأخذونها بكل سهولة نظرا لمكانتهم الاجتماعية والسياسية، وكيف يؤثّرُ هذا على تفكير أفراد الطبقة الفقيرة إيجابا كالعزم والإصرار في أن يكونوا مواطنين صالحين، يقومون بخدمة الوطن بالتعلم الجيد والأخلاق العالية والإحساس بالمسؤولية رغم تدني المستوى المعيشي وانتهاك الحقوق، ومن أبرز الأفلام التي عالجت هذه القضية مبيّنة طبيعة علاقة المواطن الغني بالمواطن الفقير، وكيف أثر هذا الصراع الطبقي على فاعلية المواطن في وطنه هو فيلم "العزيمة" إنتاج سنة 1938، وتوالت بعد ذلك عدّة أفلام أسهبت في طرح الموضوع حتى تطرقت إلى معالجته بطريقة كوميدية بحته كفيلم "الأيادي الناعمة" إنتاج سنة 1963، ورغم أنه قُدم بطريقة كوميدية إلا أنه يرفع من قيمة العمل ومسؤولية بناء الوطن من كافة مواطنيه بغض النظر عن أصولهم ومراكزهم.

تركيز صناع السنيما على هذا الموضوع في تلك الحقبة راجع إلى توافره على عامل الجذب؛ فالمشاهد الذي كان آنذاك من الطبقة الفقيرة و المتوسطة، يدخل السنيما من أجل التعرف على تفاصيل حياة تختلف تماما عن حياته، طالما انبهر بها وحرم من أبسط ما فيها، لكن مع أواخر سبعينات القرن الماضي إلى بدايات القرن الحالي تحوّل الاتجاه السنيمائي، وخرج من القصور والطبقة الارستقراطية ومشكلة الصراع الطبقي إلى الشارع ومشاكله ويوميات المواطن بسبب التغيرات المجتمعية الناجمة عن الانفتاح الاقتصادي، فقد تطور طرح السنيما لقضية المواطنة واختلف، حيث عالجتها بنوع من الجرأة خاصة في أفلام الثمانينات السياسية[1] التي انتقدت النظام الجائر والظالم والمتسبب في أكثر المشاكل التي يعانيها المواطن مثل الفقر، الجهل، انتهاك الحقوق، مشكلة العمل، والسكن، وانتشار تجارة المخدرات، والفكر اليساري، وكيف يمكن أن يكون مواطن صالح وناجح ويساهم في رفع اقتصاد بلده وتطوره في ظل هذه الظروف القاسية.

أما مع ظهور الثورات العربية التي تعبر عن نضج الفكر المجتمعي، ووعي المواطنين على اختلاف انتماءاتهم بحقوقهم الاجتماعية والسياسية، وتشبعهم بأفكار الحرية والديمقراطية والتعايش وحرية الرأي، سلكت السنيما وجهة مغايرة تماما لما كانت عليه في السابق، حيث

وجدت حريتها في التعبير عما لم تكن قادرة على التعبير عنه في ظل الحكومات السابقة التي اضطر صانع السنيما أن يتماشى مع سياستها أو أن يختار الصمت وذلك لتحّكُمها وسيطرتها

على الإعلام برمته، لكن مع الثورات استفاد السينمائيون هامشًا من الحرية، و أصبح المجال مفتوحًا أمامهم لطرح موضوعات عميقة وذات قيمة، تعالج مشكلات المواطن والوطن الحقيقية وذلك نزولا عند رغبة المشاهد الذي أصبح مهموما بحاضره ومستقبله بعد الثورة ويرفض أي طرح سنيمائي غير واقعي.

وعليه عملت السنيما مع بداية الثورة في تونس 2010 و في مصر2011 على انتقاد النظام الذي قام الشعب ضده دون حرج أو تحفظ، وقامت بصناعة أفلام ترصد الثورة وتطوراتها أولها فيلم 18يوم إنتاج 2011 وتطرقت فيه للظلم الذي لقيه بعض المواطنين لا علاقة لهم بالثورة من طرف النظام، إلا أن سيطرة المنتجين التجاريين على الإنتاج السنيمائي حدّ من إنتاج أفلامٍ ذات قيمة وفعالية، فكانت الأفلام التي تطرقت لقضية المواطنة و الإشكالات التي تعترض تفعيلها وتجسيدها مثل ملف الأقليات والتعددية الدينية والحزبية، وملف التعايش مع الآخر وتقبله، وحرية الرأي، وحقوق الإنسان، التنوع الثقافي، والتطرف الديني، قليل طيلة عشر سنوات الاخيرة.

2.الاشكالية

ارتبطت قضية المواطنة بالفرد بوصفه القائم بها كنشاط إنساني متكامل يعكس مدى التنمية والحضارة التي يحظى بها محيطه الذي ينتمي إليه، لكن هذا الانتماء تختلف أسبابه من فرد لآخر، ومن هذه الأسباب الولادة، التجنس، بالاندماج، وغيرها ما يفرز لنا عّدة إشكالات تضع المواطنة مفهوما ومصطلحا وقيمة دائما قيد البحث والنقد والتدقيق رغم ما نالته من اهتمام من طرف الباحثين تشريعيا وتربويا وسياسيا.

تعدد أسباب الانتماء لدولة ما يخلق تعددًا في الثقافات والديانات والأعراق، وهذا التعدد الاثني والديني شكل منفردا ملفا شائكا من ملفات المواطنة في البلدان العربية خصوصا بعد ثورات الربيع العربي، لما أثارته من فوضي وتفرقة وفتن دينية وفكرية بين أفراد المجتمع الواحد، وكعادة صناع السنيما يهتمون بكل ما من شانه أن يثير الجدل و يجذب اهتمام المشاهد وما يهمه من قضايا راهنة قصد الربح والانتشار، لذلك كانت قضية المواطنة وقيمها ومشكلاتها مادة دسمة عالجتها السنيما في أفلام كوميدية وتراجيدية تحاكي بصورة درامية الحياة اليومية للمواطن العربي بكل تفاصيلها و ما اكتسبه من وعي على جميع المستويات بعد ما قام به من ثورات.

وبناء على ما سبق ذكره وبالنظر للوعي الذي اكتسبه المواطن العربي والتركيبة الفكرية الجديدة التي حظيَ بها بعد الثورات، وإلى نوعية الأفلام التي عالجت قضاياه الراهنة وعلى رأسها الثورة التي قام بها وما أفرزته من مصطلحات جديدة وقضايا مهمة كقضية المواطنة

يتشكل التساؤل المحوري الآتي: إلى أي مدى نجحت السنيما في تفكيك قضية المواطنة ونشر الوعي بها؟ ويتفرع عن هذا التساؤل التساؤلات الفرعية الاتية:

- ماهي موضوعات المواطنة التي اهتمت بها السنيما العربية بعد الثورة ؟

-كيف عالجت السنيما مفهوم المواطنة في ظل التعددية الدينية والثقافية؟

- ماهي التصورات السنيمائية للمعوقات والإشكالات التي تقف أمام الفرد في تفعيل قيم المواطنة؟

3.ضبط مفاهيم الدراسة

للكشف عن مدي تفعيل الدراما السنيمائية لمفهوم المواطنة وبلورته في وعي المتلقي، وتحديد طبيعة شخصية المواطن كما تصنعها السنيما وجب أولا ضبط متغيرات الدراسة " المعالجة السنيمائية، المواطنة، الثورات العربية" بما يتوافق وسير الدراسة الكي ليتيسر بذلك تفكيك المحتوى الدرامي الذي عالج قضية المواطنة وتحليله ونقده وفق المفاهيم الصحيحة لهذه المصطلحات

1.3.المعالجة السنيمائية

أغلب البحوث والمؤلفات الأكاديمية التي تناولت السنيما قضية وفنا لم تضع تعريفا واضحًا لها، وإنما قدم أغلبها وصفا للعملية السنيمائية بأنها نوع من السحر بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ويظهر هذا في كتاب سحر السنيما لعلى أبو شادي الذي طرح من خلاله «العمليات الفنية التي يمر بها العمل السينمائي منذ أن يكون فكرة تختمر في رأس أحدهم حتى يصل إلى دور العرض السينمائي»[2] كما اهتم أغلب المؤلفين في هذا الفن بنشوئه وتطوره؛ فحسبهم يعد 28 ديسمبر1895 ميلاد الفن السنيمائي، وهو اليوم الذي افتتح فيه الأخوان لومبير أول عرض سنيمائي لهما، في الجراند كافييه في باريس، بأول ألة ميكانيكية تعرض الصور المتحركة على ستارة من قماش، ويعد هذا الحدث استقلال الفيلم عن التبعية للمسرح وتحوله إلى فن بصري مستقل حينما بدأت الكاميرا تتحرك لأن قبل ذلك لم تكن إمكانيات السنيما الغنية مدرَكة، وبعدها بأسبوع تم أول عرض سنيمائي عربي في أوائل يناير 1897بالاسكندرية، وتزامن مع هذه العروض السنيمائية البسيطة في باريس ومصر عروض مشابهة في المستعمرات، ففي 1896 تم أول عرض سنيمائي في إفريقيا الجنوبية، كما ساهم الاخوة لومبير في تصوير مشاهد سنيمائية في كل من المغرب والجزائر[3]، وبهذا عرفت السنيما انتشارا واسعا وتطورا متوقعًا بالنسبة لصانعيها، فبتطور الكاميرا وطرق تحركها، وتطور المونتاج الذي ساهم بشكل كبير في تحويل السنيما إلى شكل فني، وغيرها من المراحل تطور صناعة الكاميرا التي مكنت صانعي السنيما من التحكم في جوهر هذا الفن وهو الصورة فـــ« قوتها وخوفنا منها وتلك

الرعشة التي تنتابنا وتشدنا نحوها هي أشياء فعلية وحقيقية لا يمكن إنكارها، والوسيلة الوحيدة التي يمكن أن يدافع بها المرء عن نفسه إزاءها هي أن يغمض عينيه.. وهذا الفعل صعب في السنيما لأنه يظل دون حماية أو دفاع»[4] وبها يظل الطريق أمام صناع السنيما لتمرير كل ما يخدم توجهاتهم ويحقق أهدافهم سهل المسلك كلما كان تركيزهم على مخاطبة المشاعر، واهتمامات الجمهور الذي يعدُّ السنيما متنفسًا يقدم له المتعة والتحرر من كل الضغوط، وذلك راجع لطريقة التلقي والمشاهدة؛ فالتعتيم والعزلة المصاحبة للعرض والرغبة المسبقة في الاستمتاع تحقق إلى أبعد حد التأثير المقصود من صناعة الفيلم.

وقد أوضح بعض الباحثين الحالة التي يكون عليها المشاهد للسنيما« فماعدا السمع والبصر يكون سائر الجسد وسائر الحواس الأخرى في حالة نوم عميق الأمر الذي يتيح للخيال المهيج بواسطة أدوات المخرج المعبأة عاطفيا والمنتقاة خصيصا لهذا الغرض لأن يمارس هيمنته»[5] ورغم هذا الإبداع في خلق حياة مشابهة للواقع تخاطب رغبة المشاهد ووجدانه وتوقظ آماله وطموحه وتفسر له مالم يكن قادرا على فعله، فإن تأكيد السنيما لموضوعات معينة وإبرازها ومعالجتها يكون دائما مقابل إقصاء وتهميش موضوعات ومظاهر حياتية أخرى، وهذا يجعلها تفتقر للعمق الذي طالما سعت السنيما للاتصاف به بالجرأة وخلط القيم وكسر القوانين في طّرح ومعالجة مواضيع شائكة وهامة تتعلق بمصير المشاهد وحياته، وعليه يمكن أن نعرف **المعالجة السنيمائية بأنها: ما تتعرض له مراحل تكوين العمل الفني السنيمائي من مؤثرات فنية وفكرية وثقافية وسياسية والدينية تساهم في تطويره وتقديمه بالشكل الذي يحقق الهدف من انتاجه، مع الحافظ على روح النص الدرامي أي قضيته الأساسية.**

2.3.المواطنة :

تعد المواطنة من الموضوعات التي تناولتها السنيما بنوع من الجرأة والمصداقية والمبالغة أحيانا، فقد تعددت تعريفات الباحثين لها كل حسب تخصصه وثقافته وهويته لكن يبقى مفهومها في المجالين السياسي والاجتماعي متقارب لأنهما يمثلان البيئة التي ولد فيها هذا المفهوم وتبلور ونقل منها إلى مجالات أخرى ففي :

اللغة: مشتقة من الجذر "و. ط .ن" والوطن: منزل الإقامة، وهو موطن الإنسان ومحله، ويقال أوطن بالمكان أقام، وأوطنه اتخذه وطنا، والمواطنة مصدر من الفعل واطن أي شارك في المكان إقامة ومولدا[6]، أما مصطلح المواطنة بوصفه ترجمة عن المصطلح الفرنسيcitoyenneté المشتق من كلمة cité يعود أصله إلى الفكر اليوناني الذي تقابل المواطنة فيه كلمةpolis والتي تعني المدينة باعتبارها بناء حقوقيًا ومشاركة في شؤون المدينة[7]، وانطلاقا من ارتباط معنى المواطنة بالمدينة ومكان الإقامة في اللغة نجد أن أغلب

التعريفات الاصطلاحية تصب في هذا المعنى، وتفصّل في ضوابط انتماء وارتباط الفرد بالمكان الذي ينتمي أي وطنه لكي يسمي مواطنا

اصطلاحا: في علم الاجتماع يؤكد جون جاك روسو على أنه يجب « أن نميز الواجبات التي يجب على المواطنين أن يقوموا بها كرعايا من الحقوق الطبيعية التي يجب أن يتمتعوا بها كأناس»[8] أورد روسو هذا الشرط للتمتع بالمواطنة في سياق الحديث عن علامات قوة المدينة أو الدولة، وفي قاموس علم الاجتماع عرِّفت المواطنة بأنها« علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي" دولة" من خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول "المواطن" الولاء ويتولى الطرف الثاني الحماية وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق أنظمة الحكم القائمة»[9]

اذن فالعلاقة بين الفرد والدولة التي ينتمي إليها، والتي تتم في اطار من التنظيم والانتماء والمشاركة، تضمن له حقوقه من جهة ويترتب عليه بموجبها واجبات يقدمها خدمة لدولته من جهة أخرى، فالفرد المواطن هو «حائز الحقوق المؤدي الالتزامات، وبوصفه هذا يتمتع بحقوق سياسية ومدنية كما أنه يحظى بالعديد من الحريات الفردية..»[10] ، وهذه هي المواطنة من الناحية القانونية التي عرّفتها دائرة المعارف البريطانية بأنها: «علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة متضمنة مرتبة من الحرية وما يصاحبها من مسؤوليات وتسبغ عليه حقوقا سياسية مثل حقوق الانتخاب وتولي المناصب العامة»[11] لذلك يعد الانتماء إلى مجتمع سياسي جزء لا يتجزأ من تعريف المواطنة؛ لأن النظام السياسي في بلد ما هو المسؤول بعدة طرق عن خلق الجو المناسب الذي يتم فيه فعل المواطنة وفق معايير تلك الدولة، بإرساء كامل قيمها من المساواة في الحقوق والواجبات، وضمان الحريات كحرية الاعتقاد، وممارسة الشعائر الدينية وحرية التأييد أو المعارضة في المواقف العامة والقضايا السياسية، وهذه القيم لن تتحقق إلا باستقرار تام في كامل الجوانب الحياتية للفرد، وعليه يمكن أن نعرف **المواطنة بأنها: ذلك السلوك الإنساني الإيجابي المتكامل الذي يساهم في بناء الوطن بشكله الحضاري نتيجة التفعيل الحقيقي والمتوازن لمنظومة الحقوق و للواجبات،** فبناء الوطن بناء متكامل أي بناء حضاري يجعل المواطنة لا تنحصر في الجانب السياسي والحقوقي فقط، وحتى لو كانت كذلك لن تؤدي فاعليتها في غياب وتهالك الجوانب الأخرى من حياة الفرد كالجانب الاقتصادي والاجتماعي اللذان يترجمان واقع حياة الأفراد بصفتهم محور عملية المواطنة.

فمصطلحات كالفقر والبطالة وضعف الإنتاجية، وسوق العمل، والفساد، المنتشرة في أغلب الدول العربية والتي تعبّر عن المواطنة الاقتصادية هي في الوقت نفسه تعد مشكلات ممارسة المواطنة الاجتماعية، فمعاناة المواطن العربي من هذه المشكلات الاقتصادية يعيق تماما تجسيده لفعل المواطنة بالإضافة إلى «الحكومات المستبدة -التي يعيش تحت قانونها- لا تريد أن ترى الأفراد في موقع "المواطن" قدر ما تبغى حشره في خندق "الرعية"... لأن المواطن

الواعي لحقوقه وواجباته والناقد والمشارك الراغب في انتخاب حكامه ومساءلتهم لن يكون مقبولا لدي الحكومات المستبدة التي ستلجأ إلى إفزاعه، وترويعه، وإخراص صوته ودفعه إلى مقاعد المتفرجين السلبيين»[12] تضييق الخناق بهذه الصورة على الفرد في الوطن العربي أحدث حالة من الرفض التام وعدم التقبل ترجمت بطريقة يمكن أن نصفها بالواعية وهي ما يسمي بـ:

3.3.الثورات العربية:

-الثورة: هي مجمل التغيرات التي تلحق النظام الاجتماعي والسياسي بحيث يتغير النظام الحكومي ويحل محله نظام آخر، ويمكن إضافة التغيرات الجذرية التي تحدث في مجلات أخرى كالثورة العلمية أو الفنية وغيرها

-الثورات العربية: هي تحرك الجماهير العربية احتجاجا على أوضاع اجتماعية وسياسية واقتصادية سيئة مرفوضة، والسعي لإحداث تحولات جذرية في أنظمة الحكم السائدة، باعتبارها المسؤولة عن تردي أوضاع المجتمع برمتها[13]، وللثورات العربية حسب أغلب الباحثين مسوغات موضوعية ومن أبرزها العاملين السياسي والاقتصادي، فالخلاص من الأنظمة العربية الجائرة المؤسسة على الفساد والقمع الأمني ومصادرة الحريات، والفاشلة في تحقيق التنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية والسعي لتحقيق التنمية الدمقراطية وتحسين ظروف العيش يعد من أهم مطالب ثورات الربيع العربي التي لم تحقق بعد [14] وبالتالي **فالثورات العربية هي: صوت الشعوب العربية المعبر عن رفضها واستنكارها للوضع العام لأوطانها بعد سنوات من الصمت عما تمارسه الحكومات من ظلم اجتماعي وقمع السياسي وتضييق فكري وثقافي.**

4. الاجراءات المنهجية

1.4.نوع الدراسة ومنهجها:

بما أن الدراسة تنتمي إلى الدراسات الإعلامية عموما ، فإنها تسير وفق منهج من مناهج البحث فيها، وهو المنهج الكيفي الذي « يحاول استقصاء وفهم السلوك الاجتماعي و الانساني من منظور داخلي أي كما يعيشه المشاركون في موقع اجتماعي معين وهذا البحث شخصي جدا يترتب عليه جلب الادراك الذاتي وتحيز المشاركين إلى الموقف.. كما أن التعميمات -حسب هذا المنهج تكون غير سليمة- لأن السلوك الانساني مرتبط دائما بمضمون خاص تاريخي وزماني وثقافي »[15] وبما أن الاستقصاء الكيفي« يتم اللجوء إليه في سبيل الحصول على فهم متعمق ووصف شمولي للطاهرة الانسانية »[16]، فقد تم اعتماده لفهم قضية المواطنة في السنيما العربية بشكل حقيقي وواقعي، بتوّصيف صورة المواطنين وانتماءاتهم وأحوالهم في النص

الدرامي، وكذلك البحث عن قيم المواطنة والطبيعة الجوهرية لها، والتحديات التي تواجهها في النصوص الدرامية السنيمائية بنوعيها تراجيدية وكوميدية.

وللوصول إلى نتائج واقعية تعكس حقيقة المواطنة في المجتمعات العربية تم اختيار عينة قصدية من الأفلام التي عُرضت خلال السنوات العشر الأخيرة، أي ما عرض من أفلام ابتداء من الثورة نظرا لقلة الانتاج السنيمائي الهادف والفعال عموما والذي اهتم بقضية المواطنة خصوصا بسبب سيطرت أفلام المقاولات، فقد تم اختيار فيلم أو فلمين على الأكثر من كل سنة تناول موضوع المواطنة سواء كقضية أساسية أو فرعية للكشف عن صورة المواطنة ومفهومها الذي سعت السنيما لنشره مع بداية الثورة إلى اليوم، والتحديات التي تواجه تفعيل المواطنة من وجهة نظر سنيمائية، وذلك بتحليل المشاهد الفنية استنادا للخلفية المعرفية السنيمائية للباحثة كمشاهد دائم للدراما العربية وكدارس وناقد لها.

2.4.المادة التحليلية:

عبارة عن أربعة عشر فيلم سنيمائي بين الكوميدي والتراجيدي تناول قضية المواطنة، وما يتفرع عنها من إشكالات كالتعددية الدينية، التسامح والتعايش بين المنتمين لديانات مختلفة، والتطرف الديني والأصولية، وحقوق الاقليات الدينية كمواطنين، وأنماط شخصيات المواطنين حسب انتماءاتهم العرقية والمذهبية والدينية، ونجد أن بعض من هذه الافلام أُفرد لمعالجة هذا الموضوع بشكل حصري ومتفرد كفيلم عسل اسود، والبعض الآخر موضوع المواطنة فيها يمثل خط الوسط؛ حيث ترفع هذه الجزئية في الفيلم من قيمة العمل الدرامي ككل مهما كان حجمه كفيلم بتوقيت القاهرة، والعينة حسب سنة الانتاج ممثلة في الجدول التالي:

الفيلم		سنة الانتاج	التصنيف
عسل اسود		2010	كوميدي
صرخة نملة	18 يوم	2011	كوميدي، تراجيدي
بعد الموقعة	ساعة ونصف	2012	تراجيدي
فبراير الاسود	اخر الظلمة	2013	كوميدي، تراجيدي
صنع في مصر	لا مؤاخذة	2014	كوميدي
بتوقيت القاهرة		2015	تراجيدي
الثمن	اشتباك	2016	تراجيدي
اخلاق العبيد		2017	تراجيدي
قهوة بورصة مصر		2019	تراجيدي

الجدول رقم-1- أفلام كوميدية وتراجيدية محورها قضية المواطنة

5.موضوعات المواطنة بعد الثورات العربية برؤية سنيمائية:

ينبني العمل السنيمائي أساسا على موضوع النص الدرامي، والذي يحرص الكاتب فيه على عدّة عناصر تساهم في نجاح العمل السنيمائي ككل، ومن أهم هذه العناصر الجدة؛ أي مراعات عامل الزمن في اختيار الموضوعات، فيجب أن يكون الموضوع حديثا يمس قضايا آنية عند المشاهد، كذلك الأهمية؛ أي يكون الموضوع مهما وذا قيمة في حياة المتلقي، بالإضافة إلى مراعات العامل النفسي عنده، فالكاتب وحده هو الذي يستطيع كشف أسرار النفوس ويتيح للمشاهد فهم الناس فهما كاملا بتوظيف ما يسمي بالسيكو دراما " الدراما النفسية" والتي برزت أكثر في الدراما المعاصرة حيث« ينطوي هذا النوع من الدراما على النظر إلى الانسان في ضوء تأثره بمختزناته الباطنية التي تحتوى على تجاربه، وانطباعاته، وردود أفعاله، ومن ثمة فقد تهتم هذه الأعمال بمعاملة الشخصية على أنها نتيجة وقائع خاصة، »[17] وتظهر براعة معد النص الدرامي الذي اختار المواطنة كقضية حساسة ومهمة خصوصا بعد ثورات الربيع العربي، في طرحه للملفات المتعلقة بهذه القضية وصب شخصياتها في قوالب فنية متمايزة، وتطرقه لتجليات المواطنة وحساسيتها في النفس البشرية وفي المحيط الذي تحيا فيه هذه النفس في ظل الضغوط والتنافر الذي تعيشه مع وقع الثورات، ومن الملفات الشائكة التي تمس وضع المواطن العربي بعد الثورات

1.5.الانتماء والهوية الوطنية:

عالجت السنيما العربية موضوع الانتماء للوطن وأهمية الشعور به عند المواطن، وحتمية الاعتزاز بالهوية الوطنية ودورها في شحن الفرد بقيم إيجابية من شانها أن ترفع من مستوى عمله وخدمته للوطن، ومشاركة غيره من الأفراد خبراته وقيمه التي تساهم في إعلاء الإحساس بالانتماء عندهم، وأهمية المساهمة الفعّالة في بناء الوطن، وتتجلى هذه المعاني في فيلم "عسل اسود" انتاج 2010 سلط الفيلم الضوء على قيمة الوطن وأهميته بالنسبة للفرد، وأن الشعور بالانتماء له لا يستلزم الإقامة فيه، ويجسد هذا المعنى شخصية "مصري" الشاب العائد من أمريكا إلى وطنه مصر بعد 25سنة من الغياب، والذي وجد أن لا طعم لحياته بعيدا عن وطنه، وأن بالنجاح الحقيقي والاستمتاع به هو الرجوع لخدمة الوطن، كما بيّن الفيلم الأسباب التي تساهم في قتل الشعور بالانتماء عند الأفراد وتحرمهم من الاعتزاز بهويتهم، حيث تم معالجتها ونقدها في قالب كوميدي " كوميديا سوداء" من خلال فكر المواطن "مصري" المتشبع بالثقافة الامريكية، الذي تعرض فور وصوله لبلده، وبعد ضياع هويته الامريكية، لعدد كبير من العراقيل والمشاكل تدخل كلها في إطار الظلم وانتهاك الحقوق، وكذلك ما عاشه مع أفراد حيه

من أزمات مثل الفقر، البطالة، البيروقراطية، المحسوبية، ما جعل أغلب المواطنين الشباب يفكرون في الهجرة والفرار من الوطن الذي لا حياة لهم فيه. هذا الواقع المرير الذي يعاني منه المواطن يوحي إليه عنوان الفيلم أي وقوع المواطن في مفارقة وهي الظلم الواقع عيله من النظام وحب الوطن الذي يسكنه منذ صغره يجعله يعاني من التنافر.

كما يصور فيلم "أخلاق العبيد" إنتاج 2017 بأحداث تراجيدية واقع المواطن العربي وانهماكه في الملهيات والبحث عن جديدها، على حساب العمل والتطوير فيه، ما جعله عبدا لكل ما هو مادي فلا مسؤولية لديه تجاه الوطن، حيث حصر نفسه في ولاءات ضيقة كالولاء للمال، ويتجسد هذا في مجموعة من الموظفين الفاسدين الذين يعاملون مديرهم صاحب الشركة والعائد من أمريكا معاملة المريض النفسي لأنه رجع ليساهم في تطوير بلده ومساعدتهم واخراجهم من الفقر، فيستغلونه ويرفضون سلوكه الانساني وفكره العملي بسبب ما يلحقهم من ظلم في وطنهم، فلم يستسيغوا قيمة خدمة الوطن ومساعدة الآخر والتعايش معه رغم الاختلاف، وغيرها من قيم المواطنة التي تتحلى بها الشخصية الرئيسية في الفيلم وهي شخصية "رضوان" مدير الموظفين المتشبع بالثقافة الغربية تقدمها السنيما على أنها النموذج الراقي للمواطن المثالي.

2.5.التعددية الدينية والفكرية:

هذا الموضوع حاضر وبقوة في أغلب الأفلام العربية نظرا لطبيعة الجذب الفطرية فيه، فالدين يعتبر من أقوى الموضوعات جذبا على الإطلاق لارتباطه بالوجدان والشعور، وبالتأمل في الانتاج السنيمائي العربي نجد اهتماما لا بأس به بهذا الموضوع، لكن اختلف طرحه قبل وبعد الثورات العربية؛ فقبل الثورات نجد دعوة كبيرة في الافلام للتسامح والتعايش بين أصحاب الديانات المختلفة وخصوصا التعايش بين المسلمين والمسحيين، ونبذ العنف والكراهية والعيش بقيم المواطنة ويظهر هذا في فيلم حسن ومرقص انتاج 2008 ،رغم الملاحظات السلبية التي يمكن أن نسجلها حوله بخصوص الصورة النمطية التي يضع فيها شخصية المواطن المسلم.

أما بعد الثورات العربية نجد تكريس لفكرة التطرف الديني والأصولية والكراهية وكأن الثورات لم يكن لها من النتائج إلا خلق التفرقة بين المواطنين ونشر الكراهية والعداء بين أهل الديانتين الاسلامية والمسيحية، حيث تقدم السنيما في أربعة من الافلام المختارة وهي "الثمن" "بتوقيت القاهرة" لا مؤاخذة" و"بعد الموقعة" صورة عن التطرف الفكري والديني، وكيفية إصرار الجماعات الاسلامية على التخلص من العلمانيين الذين يصورهم الفيلم في كامل الرقي الفكري والسلوك الحضاري وخدمة الوطن، باستخدام مواطنين شباب يعانون ظروف معيشية قاهرة والتي يعاني منها كل مواطن عربي، وهذه الفكرة تظهر بوضوح في فيلم "الثمن" انتاج 2016، أما فيلم بتوقيت القاهرة انتاج2015 فقد تطرق للصراع النفسي الذي يعانيه المواطن

العربي المسلم بين تجسيده للقيم الدينية أو إشباع الاطماع والاهواء الداخلية التي تغذيها افكار التحرر والحرية المطلقة، كما يعالج فكرة التطرف الديني من خلال صورة مواطن مسلم متحجر فكريا رافض لتقبل أمه والتعايش معها بل والعيش معها لأنها مسيحية، ما شكل له أزمة نفسية، في حين يقدم الفيلم المواطن المسيحي على أنه أرجح عقلا وقادرا على تقبل الآخر والتعايش معه فضلا على ثقافته الصحيحة عن الدين الاسلامي وهذا تجسيد مبالغ فيه يبّين بمفهوم المخالفة الخلل الديني والتعصب الذي عليه المسلم.

وفي "بعد الموقعة" انتاج 2012 صور مدى عنف السلطة الحاكمة وسهولة التعسف والتحريض ضد الأقباط، كذلك فيلم "لا مؤاخذة" انتاج 2014 والذي وجد الأطفال مدخلا سهلا لمناقشة قضية التطرف الديني وخطاب الكراهية، من خلال يوميات طفل مسيحي يدرس في مدرسة ابتدائية حكومية وما عناه من الاضطهاد والتنمر والاقصاء الذي لحقه من زملائه المسلمين، والرفض الكبير له من الطاقم المدرسي وذلك في إطار كوميدي

3.5.المواطنة بالعلم والعمل:

بما أن الضحك هو الوسيلة المثالية لقبول الواقع الصعب من وجهة نظر المواطن العربي، فقد لعب دورا محوريا في صناعة السنيما العربية، «وقد عكس الأبطال المضحكون سمات عصرهم وأنماطهم المتكررة، وأحلام الوطنيين العاديين في التحرر من واقعهم البائس» [18] ويظهر هذا جليا في فيلم "صنع في مصر" الذي ناقش قضية العمل التي تؤرق أغلب المواطنين بفكرة مميزة في نص كوميدي والذي يتميز دائما« بالمادة الهادفة.. فالكاتب الكوميدي لا يضيع وقته في تجهيز المادة غير المناسبة»[19] ونلاحظ ذلك جليا في فكرة الفيلم التي تشجع على الاهتمام بالموروث الوطني وتطويره، وأنه غالبا ما يكون في حضارة البلد الذي ينتمي إليه المواطن أفكار لمشاريع قوية تنهض بالصناعة، حيث يظهر هذا في شخصية البطل الكسول الذي تساعده أخته الصغيرة ليستغل موهبته في صناعة الدمى الخيطية وتصديرها للصين، هذه رسالة قوية للمشاهد وحثه على العمل مهما كانت الظروف والمعوقات، أما فيلم "فبراير الأسود" انتاج 2013 فيعالج مشاكل النخب في البلدان العربية في اطار كوميدي ساخر، حيث يصور الفيلم بعض منها مثل الضغوط الاجتماعية والأوضاع المادية المتدهورة التي تمنعهم من أداء واجبهم تجاه الوطن، يتجلى هذا في شخصية أخوين دكتور جامعي و عالم كيميائي وينتهى بهما المطاف إلى أن يعملا بائعا طرشي نظرا للعراقيل التي يخلقها النظام الجائر لهما ما يجعلهما يفكران جديا في الهجرة خارج الوطن.

ترجمت السنيما بتعرضها لملفات أفرزها الشارع العربي بعد الثورات أثر غياب قيم المواطنة الواجب التحلي بها، كالتعايش واحترام الديانات وخدمة الوطن والاعتزاز بالهوية

وأهمية الشعور بالانتماء، وحاولت وضع حلول تساهم في رفع الوعي بالمواطنة والعيش بقيمها لكنها في كثير من الاحايين تعمل فقط على نقل الواقع وبكثير من المبالغة بحجة أن "الجمهور عايز كده" لتحقيق أهدافها التي لا تخدم المتلقي وتعالج قضاياه بقدر ما تحقق الربح والانتشار

6.عوائق ومشكلات المواطنة في السنيما العربية

نقل صناع السنيما في بعض الأفلام عددا من المشاكل تعيق ممارسة المواطنة في البلدان العربية بنوع من الجرأة والمبالغة، ففي فيلم "صرخة نملة " انتاج 2011 الذي تدور أحداثه في اطار كومدي يبّين مدي القهر والظلم وانتهاك الحقوق الذي يتعرض له بطل الفيلم المواطن البسيط والذي يتلقى كل المشاكل والظلم بنوع من السخرية للتخفيف عن نفسه، ويظل الحال كما هو عليه، ولا يجد أي حل لمشاكله كانعدام مياه الشرب، وارتفاع الاسعار،...الخ حتى قامت الثورة " الشعب يريد اسقاط النظام" كشعار يعكس الوضع المزر ويدين المتسبب، وهي إشارة إلى أن الاستبداد والظلم لا سبيل للتخلص منه إلى بالانتفاض والرفض من كل المواطنين، نفس هذه الظروف وأفظع منها تظهر في فيلم "ساعة ونصف" انتاج 2012 تدور أحداثه في قطار يجمع عدد من المواطنين منتهكو الحقوق فلم يجد المخرج حل لمعاناتهم إلا الموت فينتهي الفيلم بانفجار القطار وموت الجميع، وهي صورة عن اليأس الذي يعيشه المواطن العربي.

قدمت السنيما أيضا صورة رمزية مبدعة عن علاقة المواطن بوطنه وما تعانيه كل شريحة من أزمات ومعاناة، الوطن في الفيلم هو "قهوة بورصت مصر" عنوان فيلم انتاج 2019 يتحدث عن أهمية الشعور بالانتماء للوطن ويرصد مشاكل المواطنين التي تمنعهم من ممارسة فعل المواطنة، حيث يجتمع في المقهى البطل المعنوي للفيلم عددا من المواطنين، يمثل كل واحد منهم شريحة معينة بمشاكلها؛ فالأطباء يتاجرون في بيع الأدوية لا يمثل لهم المقهى سوى مكان لعقد الصفقات المشبوهة، شباب جامعي يعاني صراع بين البقاء في الوطن والهجرة، الإعلام وتمثله شخصية إعلامية تافهة تقوم بلقاءات صحفية في المقهى عن الرياضة والفن بعيدا عن المشاكل الحاصلة في المقهى، كما أن المشاحنات والمشاكل داخل المقهى يتم التغاضي والسكوت عنها لغياب شخصية القانون، كما ركز الفيلم على قيمة الشعور بالانتماء من خلال شخصية نادل المقهى، وبعض الشباب يرفضون فكرة الهجرة، وكاتب سنيمائي يمثل له المقهى مصدر الهام وسكينة، من خلال رفضهم وبشدة لبيع المقهى لأنها تمثل لهم التاريخ والانتماء واستنكار هذا الفعل والوقوف في وجه المالك الذي يود التخلص منها بالبيع ثم الهجرة، يجعل المخرج هذه الفئة الرافضة للهجرة وبيع المقهى "الوطن" رغم معاناتها مثال لطبيعة المواطنة في البلدان العربية وهي التضحية والعمل على التغير.

7.خاتمة

رغم أن المشاهد التراجيدية والكوميدية في الأفلام المختارة التي تناولت موضوع المواطنة وأبعادها السياسية، والدينية، والاجتماعية، بعد الثورات العربية قدمت المواطنة بصورتها الواقعية في المجتمعات العربية إلا أنها بيّنت أجندت صناع الدراما وأهدافهم من معالجة القضايا الحساسة والمحورية في حياة الشعوب، فقد اتضح بتفكيكها:

- ✓ تركيز صناع السنيما وبالتحديد كتاب النص الدرامي على موضوع الهجرة أسبابه وتبعاته، فلا نكاد نجد نص يخلو من الإشارة لهذا الموضوع ومناقشته تراجيديا أو كوميديا، وذلك راجع لانتشار هذه الفكرة بين أغلب المواطنين العرب بسبب الضغوط المجتمعية والفساد المتفشي في جميع مجلات الحياة.
- ✓ كثافة المشاهد التي تناولت التطرف الديني وبالتحديد في الجمعات الإسلامية، ووضع المواطن المسلم في صورة نمطية غالبا ما تكون سلبية، لها مفاهيم مغلوطة عن الدين ولا تقدم ولاء ولا تشعر بانتماء إلا لجماعتها الدينية المتعصبة
- ✓ أن مصطلح المواطن في السيناريوهات السنيمائية لا يرد منفردا بل غالبا ما يرد مضافا إليه غيره فيشكل بصيغ متنوعة تعكس واقع الفرد في البلدان العربية مثل مواطن بسيط والذي يشير إلى المواطن الفقير والمظلوم غالبا، مواطن شريف صيغة يستعملها غير الشرفاء من السياسيين وأصحاب المال لدفع التهم والشبهات عنهم.
- ✓ أن خدمة صانعي الدراما لرغباتهم وأهدافهم وتوجهاتهم، وتراجع النص الدرامي حتى أنه أصبح يسمى الورق، ومنح الأحقية للنجوم للتدخل في النص وقيمته أدى إلى تدني الحس الفني واختلال النظام القيمي الدرامي، فأصبح كل ما يجر ربحا هو الهدف، وكل ما يجذب المشاهد هو القيمة، فأصبح موضوع المواطنة الانتماء للوطن خاصة بعد الثورات العربية تجارة رابحة نظرا لاهتمام المشاهد بمعايشة أحداث الثورات التي فاتته في الواقع من خلال السنيما.
- ✓ اختلاف في الطرح الدرامي لموضوعات التعددية الدينية والتسامح قبل وبعد الثورة، إذ أنها بعد الثورات تعمل السنيما على زيادة توتر العلاقات الإسلامية المسيحية، وتنميط شخصية المواطن المسلم في صورة الإرهابي وتهميش الموضوعات التي تخص المواطن المسيحي.

الهوامش

---

1. أفلام تطرق أغلبها لقهر السلطات للمواطنين، من أشهرها فيلم "ملف في الآداب" عالج أحد أسباب عرقلة ممارسة المواطنة الاجتماعية وهو ظلم الحكومة للمواطنين وانتهاك حقوقهم باستخدام مواد القانون التي وضعت أساسا لإدانة المخطئ لإدانة مواطنين شرفاء، وفيلم "الزمّار" الذي يقدم نموذج لخنق الحريات من طرف الحكومات وهي حرية التعبير، الفلمان انتاج1985 للمخرج عاطف الطيب الذي قدم بهما صورة واقعية عن انتهاك حق العدالة وغيابه عن حياة المواطن وما يترتب عليه من آثار سلبية تضر بالدرجة الاولى الوطن.(https://www.youtube.com/watch?v=HXOySZEYQoI&t=856s سا 22:31 2020/3/12 سنيما عاطف الطيّب: سنيما الناس الغلابه)

2. أبو شادي، علي سحر السينما: https://www.goodreads.com/book/show/6439881 سا00:20 2020/3/11

3. ينظر: فوغل، أ، (1964)، السنيما التدميرية ، ترجمة: أمين صالح، د.ط، دب، دار الكنوز الادبية، ص85 و توفيق، سعد الدين (1969)قصة السنيما في المصر، القاهرة، دار الهلال ، ص9 ، و عتوتي، زهية (2016)السنيما الافريقية المسار والتحدي، مجلة منيرفا، ع2، ج2، ص40

4. أ. فوغل: السنيما التدميرية، ص9

5. نفسه ص12

6. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، د.ط، دار صادر، بيروت، د.س، ص451 و الكفوي: (1998)الكليات، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص940

7. مؤسسة الحوار الانساني: المعتقد الديني ليس شرطا للمواطنة، https://hdf-iq.org سا 17:18 2020/3/11

8. روسو، جون جاك، (2012)العقد الاجتماعي، ترجمة: عادل زعيتر: د.ط، القاهرة، مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة، ص58

9. غيث، محمد عاطف،(2016) قاموس علم الاجتماع، ط1، لبنان، دار المعرفة الجامعية، ص34

10. شنابر، دوميناك و باشو لييه، كريستيان (2016) ما المواطنة، ترجمة: سونيا محمود نجا، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ، ص10

11. الخطاب، فارس: المواطنة والمحاصة https://www.aljazeera.net/knowledgegate / سا 20:12 2020/3/10

12. فوزي، سامح (2008)المواطنة، ط1، القاهرة، مركز القاهرة لدراسة حقوق الانسان، ص67،66

13. خطايبة، يوسف ضمان (2019)، عوامل قيام الثورات العربية المعاصرة من وجهة نظر الشباب الجامعي الاردني، مجلة العلوم السياسية والاجتماعية، ع17، جوان، ص114

14. ساعو، وليدة، (2013)الثورات العربية بين التوازنات والتفاعلات الجيوستراتيجية ومتغيرات المنطقة العربية، رسالة دكتوراه، ، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص74

15. رجاء محمود أبو علام: مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، د.ط، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2008، ص282، 283

16. محمد مسفر القرني: منهج البحث الكيفي والخدمة الاجتماعية العيادية، مجلة العلوم الاجتماعية، مج37، ع3، الكويت، 2009، ص5

17. المصري، عز الدين(2010)، الدراما التلفزيونية مقوماتها وضوابطها الفنية، رسالة ماجستير، جامعة غزة الاسلامية، ، ص91

18. السايحي، رضوان، قضايا السنيما العربية http://elsada.net/54015/ سا 23:15 2020/3/14

19. هلترز، ملفن (2010) اسرار الكتابة الكوميدية، ترجمة: صبري محمد حسن، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ،ص19،18